مؤتمرات وندوات علمية

المؤتمر الدولي الأول حول الآثار الإسلامية

الجهة المنظمة: مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (إرسيكا).

مكان الانعقاد: إستانبول - تركيا

تاريخ الانعقاد : ٢٩ صفر- ١ ربيع الأول ١٤٢٦هـ، الموافق : ٨- ١٠ أبريل ٢٠٠٥م.

نظم مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (إرسيكا) المؤتمر الدولي الأول حول الآثار الإسلامية (The First International Congress on Islamic Archaeology)، بمقر المركز في إستانبول، تحت رعاية رئيس الوزراء التركي أردوغان؛ وحضر الافتتاح نيابة عنه وزير الدولة أ. د. بشير آتالاي.

افتتح المؤتمر بكلمة من أ. د.خالد أرن مدير عام مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (إرسيكا)، ثم تحدث خلال حفل الافتتاح كل من: أ. د. سعد الراشد وكيل وزارة التربية والتعليم للآثار والمتاحف في المملكة العربية السعودية، وعضو مجلس إدارة إرسيكا، وأ. د. أكمل الدين إحسان أوغلي الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي، والمدير العام السابق لإرسيكا، وهو الذي أسس مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (إرسيكا) التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، ومديره لمدة خمسة وعشرين عاماً، واختتم حفل الافتتاح بكلمة لوزير الدولة التركي أ. د. بشير آتالاي.

هدف المؤتمر إلى إقامة ملتقىً دوري لتشجيع التعاون العلمي في مجالات الحفريات والتنقيبات التي تجري في المواقع الأثرية في العالم العربي والإسلامي، كما يهدف إلى تبادل الخبرات والآراء حول ترميم الآثار الإسلامية وصيانتها، وتفعيل دور الآثار في كتابة التاريخ الإسلامي.

وكانت الأنشطة الأثرية الخاصة بالحفريات الأثرية في العالم الإسلامي تهتم، غالباً، بآثار فترات ما قبل الإسلام، ولم يكتسب التركيز على الآثار الإسلامية صفة الانتظام والاستمرارية على الرغم من الجهود التي بذلها العديد من علماء الآثار ومورخي الفنون للاهتمام بالآثار الإسلامية، إلا أنه لم يتم تحديد منهجية متخصصة لدراسة التراث المادي والثقافي للحضارة الإسلامية.

ولا تزال الآثار الإسلامية بحاجة ماسة لتطوير دراسات شاملة ومنسقة ومبرمجة، تساعد على تأسيس تقاليد علمية خاصة بها، كما أنها بحاجة إلى تحديد المواقع والمعالم الخاصة بالعصور الإسلامية المختلفة في كل أرجاء العالم الإسلامي، للحفاظ عليها من الاندثار.

ومن المشاكل التي تحتاج إلى حلول تداخل تعريف الآثار الإسلامية بتاريخ الفن الإسلامي؛ فلا تزال العديد من المراكز العلمية ترى أن علم الآثار الإسلامية يدخل تحت تعريف تاريخ الفن الإسلامي، وذلك بتأثير من المدرسة الأنجلو-أمريكية.

كما يرى بعض علماء الآثار أن الآثار الإسلامية لم تستطع التخلص من تأثير التاريخ الإسلامي؛ لكن هذا الرأي أغفل مساهمة الآثار الإسلامية في تصحيح العديد من روايات المؤرخين؛ بل يمكننا القول باطمئنان: إن الآثار الإسلامية يمكن أن تسهم بقدر كبير في إعادة كتابة العديد من فترات التاريخ الإسلامي؛ لكون المكتشفات الأثرية وثائق لا يمكن أن تتعرض للتصحيف أو التحريف الذي تحفل به روايات المؤرخين.

قسَّمت اللجنة المنظمة أعمال المؤتمر إلى سبع جلسات، وتنوعت الأبحاث المقدمة إلى المؤتمر في موضوعات شتى، وكانت اللغة الإنجليزية هي اللغة الرسمية للمؤتمر.

الجلسة الأولى قُسِّمت إلى محورين، قدم في كل منهما أربعة أبحاث: وقدم أوليش أرك (Olus Ark) بحثًا عن معنى الآثار الإسلامية ووظيفتها (Meaning and Function of Islamic Archaeology). طرح في بداية بحثه السؤال

الآتي: هل هناك علم يطلق عليه اسم علم الآثار الإسلامية؟ وما هو دور هذا العلم؟ ثم تطرق إلى أن بداية دراسة الآثار الإسلامية كانت على أيدي المستشرقين، وأن الرعيل الأول من المتخصصين المسلمين في الآثار الإسلامية ساروا على نهجهم. وأشار إلى علاقة الفن الإسلامي بالفلسفة الإسلامية، وأنه يجب على الدارسين والمتخصصين في مجال الآثار والفنون الإسلامية دراسة أعمال الفلاسفة المسلمين الكبار، أمثال: ابن سينا، والفارابي، والبيروني، وابن رشد، والكندي، وغيرهم؛ لمحاولة فهم الكثير من الجوانب المتعلقة بالفن الإسلامي.

ثم قدم سكوت ريدفورد (Scott Redford) بحثًا عنوانه: ماذا عن الآثار الإسلامية؟ أمثلة من تركيا (What is about Islamic Archaeology? Some Examples from Turkey). وبدأ بالقول إننا نطلق على المساجد والمدارس والقصور، والمكتشفات الأثرية التي نعثر عليها في المدن الإسلامية اصطلاح: الآثار الإسلامية، وذكر أن الآثار الإسلامية عانت كثيرًا من سوء الفهم من قبل المستشرقين المتأثرين بعلم الآثار التوراتي؛ ولذلك لا بد من إعادة دراسة الآثار الإسلامية، وتاريخ الفنون الإسلامية بعيدًا من التعصب الذي عانت منه الآثار والفنون الإسلامية، والذي تجلى في تأصيل العناصر المعمارية والزخرفية إلى حضارات سابقة.

أما البحث الثالث، فقدمه كنعان بيلكي (Kenan Bilici) بعنوان: الآثار الإسلامية: فذلكة شرقية ("Islamic Archaeology": An Orientalistic Rhetoric?)، ويدور البحث حول مفهوم الآثار الإسلامية وكيفية مساهمتها في تقديم الأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية للمجتمعات الإسلامية، والتعرف على تاريخ الثقافات الإسلامية المختلفة.

واختتم المحور الأول من الجلسة الأولى ببحث قدمه إبراهيم بولاقي (Ibrahim Boolaky) بعنوان: أهمية الكنوز الأثرية الإسلامية والتراث الأثري الإسلامي في الغرب (The Importance of the Archaeological Treasures and Heritage of Islam in the West)، تحدث فيه عن أهمية الكنوز الأثرية الإسلامية في الغرب، الذي استحوذ على الكثير من الآثار الإسلامية، التي تتوزع على العديد من المتاحف والمجموعات الخاصة في الدول الغربية، وتأثير الآثار الإسلامية والتراث الإسلامي في الحضارة الغربية.

أما المحور الثاني من الجلسة الأولى، فقدمت خلاله أربعة أبحاث كان الأول لمروان أبي خلف بعنوان: خزف إسلامي مكتشف في خربة شويكة - البيرة - فلسطين (The Islamic Pottery of Khirbat Shuwayka Exacavations - El-Bireh, Palestine)، وقدم الباحث نتائج الحفريات التي قام بها في موقع خربة شويكة في البيرة بفلسطين، ومنها عينات من الخزف الإسلامي المكتشف في الموقع، والذي سيسهم في تقديم معلومات مهمة عن تاريخ الموقع.

ثم قدم أحمد سري بحثًا بعنوان: نتائج الحفريات في تل عربيد (The Results of Exacavations at Tall Ar-bid)، وتضمن البحث نتائج الحفريات، التي أجريت في موقع تل عربيد، الذي يقع في أقصى شمال سورية؛ وقامت بالتنقيب فيه بعثة سورية بولندية مشتركة منذ سنة ١٩٩٤م. وقدمت فيرينا دايبير (Verena Daiber) بحثًا بعنوان: خزف أيوبي - مملوكي مكتشف في بعلبك خلال المواسم من ٢٠٠١-٢٠٠٤م) (Ayyubid - Mamluk Ceramics from the 2001-2004 Seasons in Baalbek)، عرضت الباحثة نماذج من الخزف والبلاطات الخزفية التي ترجع إلى العصرين: الأيوبي والمملوكي، والتي عثر عليها في بعلبك، خلال الحفريات التي أجريت خلال السنوات من ٢٠٠١- ٢٠٠٤م، بالتعاون بين معهد الآثار الألماني وإدارة الآثار اللبنانية.

واختتم هذا المحور ببحث قدمته باربرا فنستر (Barbara Finster) بعنوان: مشكلة صيانة موقع عنجر في لبنان (Problem of Conservation Concerning the Site of Anjar in Lebanon)، ناقش البحث المشاكل التي تواجه عمليات صيانة موقع عنجر الأثري وكيفية المحافظة عليه من الاندثار؛ وتقع عنجر شرق لبنان على الحدود السورية اللبنانية.

وكان من المقرر أن تشهد الجلسة الثانية إلقاء سبعة بحوث في محورين؛ لكن غياب أكثر المشاركين حال دون ذلك. وقُدِّم خلال الجلسة بحثان فقط؛ الأول قدمه بهرام أجورلو (Bahram Ajorloo) بعنوان: الآثار الإسلامية في إيران (Islamic Archaeology in Iran)، قدم فيه الباحث نبذة

عن بداية دراسة الآثار الإسلامية في إيران؛ وأوضح أنها بدأت منذ سنة ١٨٥١م؛ وظلت منذ ذلك الوقت وحتى سنة ١٩٤٩م بيد الآثاريين الغربيين. و يقترح الباحث وجوب دراسة التغييرات التي طرأت على الجوانب الثقافية والاجتماعية، في العصور الإسلامية المختلفة من خلال الآثار الإسلامية، بدلاً من الاعتماد على ما جاء في روايات المؤرخين.

وكان البحث الثاني بعنوان: بعض السجلات الآثارية المحفوظة في مجلس الدولة (Some Archeological Records in Council of State Registers)، عرض الباحث محمد حنيفي للعديد من الوثائق والتصاريح العثمانية التي كانت تمنح لبعض الآثاريين الغربيين، لإجراء حفريات وتنقيبات أثرية في المواقع الأثرية في أرجاء دولة الخلافة العثمانية. كما عرض بعض التصاريح التي حصل عليها الرحالة الغربيون لزيارة المواقع الأثرية. ودعا الباحث إلى الاستفادة من الأرشيف العثماني في دراسة الآثار الإسلامية في جميع الدول التي كانت تابعة للدولة العثمانية، خاصة الوثائق والوقفيات الخاصة بتلك المواقع.

وقُدِّم خلال الجلسة الثالثة بحثان؛ الأول قدمه سعد بن عبدالعزيز الراشد بعنوان: "مكتشفات إسلامية من الربذة" (Islamic Finds in Rabadha)، عرض فيه نتائج التنقيبات التي قام بها الباحث في موقع مدينة الربذة، الواقعة على طريق الحج القادم من الكوفة إلى مكة المكرمة (درب زبيدة)، وأوضح كيف أسهمت المكتشفات الأثرية في تقديم معلومات مهمة عن التاريخ الإسلامي، خلال العصر العباسي والعصور التالية.

أما البحث الثاني لسامي عنقاوي فكان بعنوان: "تراث سيرة النبي" (The Heritage of the Prophet's See-ra)، تناول الباحث التغيرات، التي طرأت على التراث المعماري في مكة المكرمة، نتيجة توسعة الحرم المكي الشريف، لمواكبة الزيادة المضطردة في أعداد الحجاج والمعتمرين.

وقدمت خلال الجلسة الرابعة ثلاثة أبحاث؛ كان الأول بعنوان: "مستوطنتان من العصر الإسلامي المبكر على حدود صحراء فلسطين " (Two Early Islamic Settlements in Palestine's Desert Periphery)، قدمته جودي ماجينس (Jodi Magness)، التي عرضت نتائج الحفريات التي قامت بها في موقع المدينتين الواقعتين في وادي عربة؛ ما أدى إلى معرفة الكثير عن المدن الإسلامية الصغيرة في فلسطين؛ إذ كان البحث الأثري يتركز قبل ذلك في المدن الكبيرة مثل: القدس، ورام الله، ونابلس وغيرها. كما قدمت جوليا جونيلا (Julia Gonnela) بحثاً بعنوان: "قلعتي منزلي: قلعة حلب في العصر المملوكي المبكر" (My Castle is my Home: The Early Mamluks on the Citadel of Aleppo)، ويدور البحث حول أن القلاع في العالم الإسلامي لم تكن تُشَيَّد للأغراض العسكرية فقط؛ بل كانت تستخدم للسكن أيضًا. أما منى المؤذن فقدمت بحثًا بعنوان: "خزف الرقة ذو البريق المعدني" (Ceramic with Luster of Ar-raqqa)، ركز البحث على الخزف ذي البريق المعدني المكتشف في الرقة؛ وأوضحت الباحثة أن صناعة هذا النوع من الخزف قد بدأت في سامراء عاصمة الخلافة العباسية، أوائل القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، ثم انتقلت من سامراء إلى مدن أخرى مثل: الرقة، وحماة، والفسطاط، وغيرها.

وشهدت الجلسة الخامسة تقديم ثلاثة أبحاث عن الآثار العثمانية والحفريات التي أجريت في مواقع إسلامية وعثمانية بتركيا، وهي:

١- "آثار الإمبراطورية العثمانية" (The Archaeology of Ottoman Empire)، قدمه فلز يني شهرلي أوغلو (Filiz Yenishirlioglu).

٢- "حفريات في أزنيق" (Exacavations in Izni) قدمه أرا ألتن (Ara Altun).

٣- "الآثار الإسلامية في تركيا" (The Archaeology of Islam in Turkey)، قدمته شكران سفملي (Sukran Sevmli).

أما الجلسة السادسة فضمت ثلاثة أبحاث؛ الأول بعنوان: "نحو إقامة مركز للحفاظ على المدن والمباني الأثرية في العالم الإسلامي" (Towards an Islamic Center for Pre-serving Monumental Cities and Buildings in the Islamic World)، قدمه حيدر يعقوب بالاشتراك مع كل

من: هاشم موسوي، ومحمد بن طالب، وأسامة بن طالب، يتضمن البحث خطة لإنشاء مركز إسلامي للحفاظ على المدن والمباني الأثرية في العالم الإسلامي.

أما البحث الثاني فكان بمثابة تقرير عن حفائر أثرية في قصر طوق بإسطنبول، قدمه أورجون بارشتا (Orcun Barista) بعنوان: "تقرير عن حفائر ومسوحات من قصر طوق بإسطنبول، ما بين سنتي ١٩٩٦- ١٩٩٨م" (A Report on Exacavations and Surface Surveys Took Place Between 1996-1998 in Istanbul).

ثم قدم عبدالله عطية عبد الحافظ بحثًا عن دور الوقف في الحفاظ على الآثار الإسلامية؛ إذ كانت لكل أثر أوقاف يصرف منها عليه؛ وإذا تم إحياء الأوقاف فمن الممكن الاستفادة من ريعها في ترميم الآثار والمحافظة عليها. والبحث جاء تحت عنوان: "دور الوقف في الحفاظ على المعالم الإسلامية" (The Role of Waqf in Conservation of Islamic Monuments).

وشهدت الجلسة السابعة، وهي الأخيرة، تقديم أربعة أبحاث؛ كان الأول منها من تقديم مير سعيد موسوي بعنوان: "السوق ودوره في تطوير المدن التقليدية الإيرانية" (Bazar and its Role in the Development of Iranian Traditional Cities)، وناقش الباحث دور السوق في تطوير المدن التقليدية في إيران والمحافظة على تراثها من الضياع، والحد من تغلغل النماذج الغربية للأسواق التي بدأت تغزو الكثير من المدن الإسلامية.

أما البحث الثاني فكان بعنوان: "حفريات ميدان أوسكدارفي محطة مرمرة" (Uskudar Square Exacavations for Marmaray Station)، قدمته شانيز أتك (Seniz Atik)، ويدور البحث حول الحفريات التي أجريت في ميدان أوسكدار بإستانبول؛ وقد نفذت الحفريات عندما عزمت بلدية إستانبول على إقامة مشروع محطة مرمرة فسمحت البلدية للآثاريين بإجراء حفريات لمسح الموقع قبل الشروع في إنشاء المحطة؛ وأظهرت الحفريات أن الموقع غني بالآثار التي تعود إلى الفترات: الرومانية، والبيزنطية، والإسلامية.

ثم قدم عبدالله نصيف البحث الثالث عن مدينة العلا، التي كانت عاصمة لمملكة ديدان ولحيان (ما بين القرنين السادس والأول ق.م)، وبعد الإسلام نشأت في الموقع مدينة إسلامية استخدم في بناء مساكنها أحجار جلبت من الموقع القديم للعلا (الخريبة). وتعرض البحث للحجر (مدائن صالح)، وهي المدينة التي ازدهرت في عهد الملك النبطي حارثة الرابع (٩ ق.م - ٤٠م)، وكانت بمثابة العاصمة الثانية لمملكة الأنباط بعد البتراء.

واختتمت بيهان قارا ماغارالي (Beyhan Karamagrah) جلسات المؤتمر ببحث عن المسكوكات الإسلامية التي عثر عليها في مدينة آني، وعنوان البحث هو: "المسكوكات الإسلامية المكتشفة في آني" (Islamic Coins Found in Ani)، وتقع مدينة آني في أقصى شرق تركيا على الحدود التركية الإيرانية، وترجع المسكوكات التي اكتشفت بها إلى فترات إسلامية مختلفة، منها: العباسية، والمغولية، والعثمانية.

وبعد انتهاء جلسات المؤتمر، أقيم الاجتماع الختامي لأعمال المؤتمر، بحضور وزير الثقافة التركي الذي رحب بالمشاركين، ودعاهم إلى عقد المؤتمر الثاني في إستانبول. وكان المشاركون قد اتفقوا على عقد المؤتمر بصفة دورية كل ثلاث سنوات؛ وأن يتضمن المؤتمر الثاني موضوعات شتى خاصة بالآثار الإسلامية لتوسيع دائرة المشاركة، والحرص على تمثيل الدول الإسلامية المختلفة، خاصة تلك التي لم تشارك في المؤتمر الأول لتحقيق مزيد من التواصل بين المختصين في الآثار الإسلامية، واستغلال اللقاءات الدورية في توحيد المصطلحات الأثرية، وتبادل الآراء. كما اتفق المشاركون على أن تكون اللغة العربية لغة معتمدة للمؤتمر في دوراته المقبلة إلى جانب إفساح المجال أمام اللغات الأخرى.

وأقيم على هامش المؤتمر معرضان الأول هو معرض الآثار الإسلامية في قونية، افتتح في الثامن من أبريل ٢٠٠٥م في مقر إرسيكا؛ والثاني معرض الآثار الإسلامية، في التاسع من أبريل ٢٠٠٥م، في مقر المتحف التركي الإسلامي بإستانبول.

د. فرج الله أحمد يوسف - الرياض ١١٤١٢ - ص ب ٤٥٥٦ - farajyousef @ hotmail.com

"ملتقى اليرموك السنوي: النقوش والكتابات القديمة"

الجهة المنظمة : كلية الآثار والأنثروبولوجيا - جامعة اليرموك- الأردن.

مكان الانعقاد : جامعة اليرموك - اربد - الأردن.

تاريخ الانعقاد : ٣ - ٥ ربيع الأول ١٤٢٦هـ

الموافق ١٢- ١٤ أبريل ٢٠٠٥م.

النقوش والكتابات القديمة كانت موضوع المؤتمر الدولي، الذي نظمته كلية الآثار والأنثروبولوجيا التابعة لجامعة اليرموك (الأردن)، تحت عنوان: "ملتقى اليرموك السنوي الثالث: النقوش والكتابات القديمة"، في الفترة الواقعة بين ١٢ و ١٤ نيسان العام ٢٠٠٥ . تكمن أهمية النقوش في أنها حفظت من فترات مختلفة، وأسهمت في توضيح المواد الأثرية أو تأريخها، في الكثير من الأقطار العربية. والسبب في حفظ هذه النقوش هو استخدام الكاتب قديماً للحجر أو الفخار أو المعدن؛ ليضع عليها نقوشه وكتاباته. والحفر بأداة حادة على الأحجار والصخور يحتم ظهور أشكال مختلفة من الحروف؛ وهو ما تعكسه مهارة أصحاب النقوش، ومدى طواعية المادة الموجودة تحت تصرفهم. وهذا ما استدعى دراسة أشكال الحروف، حسب الفترات الزمنية واللغات والأقاليم والكتاب.

ويرتبط الموضوع، بشكل وثيق، بظهور الأبجدية وتطورها؛ وإن كانت الأبجدية المسمارية، كما عرفت في راس شمرا (أوغاريت) شمالي سوريا، قد سبقت الأبجدية الفينيقية. في الغرب، اكتشف أول نقش أبجدي بالأرامية واليونانية، في روما، في بداية القرن السابع عشر، بالقرب من بوابة كان في موضعها معبد مخصص للجنود الرومان من أصل تدمري. ومنذ ذلك الحين، تطور موضوع النقوش، ليصبح حقلاً مستقلاً تعالج فيه اللغات السامية؛ وهو مصطلح يقترح كاتب هذا المقال تسميتها بـ "لغات الأصل الثلاثي"، وتعد العربية أهمها على الإطلاق. الأكدية هي إحدى هذه اللغات؛ ولكنها تخرج نوعاً ما عن إطار حقل دراسات النقوش؛ لأنها كتبت على ألواح أو رقم طينية وبالخط المسماري المقطعي، خلافاً للنقوش التي كتبت بالأحرف الأبجدية.

نظم المؤتمر قسم النقوش في الكلية؛ وتمحورت أوراق العمل، لتشمل: التاريخ واللغة والديانة وتفسير النص. وعرضت فيه نقوش وكتابات اكتشفت حديثاً، ومعظمها نقوش صفوية، اكتشفت في بادية الأردن. وكلمة "صفوية" هي مجرد مصطلح متعارف عليه، ولا تشير إلى مجموعة أو شعب، وأطلقت على أول مجموعة من النقوش، عثر عليها بالقرب من تلول الصفاة، جنوبي شرق دمشق. النقوش الصفوية قصيرة وتذكارية الطابع، يثبت فيها كاتبها مروره بالمكان بتسجيل اسمه ونسبه على حجر النقش، ويذكر جانبا من نشاطه، أو شوقه وحنينه للحبيبة، وأحيانا يؤرخ النقش بحدث خاص من عصر الكاتب. وفي أحيان أخرى، يضاف رسم قد يكون معبراً عن محتويات النقش. وشمل المؤتمر أيضا نقوشا أو كتابات بالأكدية والأرامية، التي كان يستخدمها الأنباط؛ واليونانية واللاتينية، وكذلك اللهجات المحلية. وتأتي مادة النقوش في بلاد الشام والمملكة العربية السعودية، لتسد فراغا معلوماتيا في حقب زمنية استخدمت فيها وسائل كتابة غير قابلة للحفظ. وهذا الوضع ينطبق على بلدان عربية أخرى، باستثناء العراق القديم، الذي ترك لنا مئات الآلاف من الرقم الطينية، تغطي تقريباً جميع مجالات الحياة. وفي فلسطين، كان الإنسان يسجل أنشطته الاقتصادية والإدارية، وأحيانا الدينية، على كسر من الفخار. لهذا، بقيت هذه الوثائق حتى اليوم، كالتي عثر عليها في خربة الكوم وتل الدوير، في الجنوب.

عرض رافع حراحشة (دائرة الآثار العامة) ويونس شديفات (جامعة مؤتة)، في محاضرتهما، ستة نقوش صفوية جديدة، تذكر الملك أغريبا الثاني، وهو حفيد هيرود الكبير، وكان مثل جده تابعاً للإمبراطورية الرومانية، أثناء هيمنتها على فلسطين والأردن. وتأتي أهمية هذه النقوش أن اثنين منها يذكران السنة التي مات فيها؛ أي ٩٣ ميلادية. وفي نقشين آخرين، تذكر السنة التي نجا فيها أغريبا؛ أي ربما سنة ٦٦ ميلادية، من اضطرابات حصلت في محافظة يهوذا الرومانية. إضافة إلى ذلك، يذكر أحد النقوش كلمة "مدبار"؛ وهي تعني منطقة

الحماد الأردنية، الواقعة في البادية الشرقية؛ والسياق يعكس حركة البدو، شرقاً وغرباً، في فصلي الشتاء والصيف. وعرض مد الله العنزي (وزارة التربية والتعليم، المملكة العربية السعودية) نقشا عربياً شمالياً جديداً، من تل الذئاب، شمالي المملكة[1] . عميدة شعلان (جامعة صنعاء) قدمت نقوشاً جديدة، من متحف قسم الآثار في جامعة صنعاء، تذكر في أحدها "أرض نجران"؛ وأثيرت في النقاش مسألة لفظ كلمة "نجران"، وأنها قد تكون في الأصل من دون المد؛ أي "نجرن".

النقوش والآثار حقلان مرتبطان مع بعضهما، إلى حد بعيد. فكما هو معروف، يستفيد الآثاريون من وجود نقوش أو قطع عملة في تأريخ الطبقات في الموقع الأثري. والطبقات هي العمود الفقري الزمني التي تؤرخ من خلالها المباني واللقى الأثرية في الموقع. وبشكل متبادل، يمكن أحياناً للنقوش أن تؤرخ، من خلال الطبقة الأثرية، التي وجدت فيها. ففي تل دير علا، أحد أهم المواقع الأثرية الأردنية في الأغوار الوسطى، عثر على مجموعة من الألواح الطينية في طبقة أُرِّخت، حسب الطبقة، إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد؛ وعلى بعض الألواح، كتبت نقوش بأحرف ما زالت غير مفهومة؛ وعلى ألواح أخرى، حفرت نقاط لا غير.

زيدان كفافي (جامعة اليرموك) لاحظ في محاضرته: "شعوب البحر في شمالي الأردن" الشبه الخارجي بين هذا الخط وآخر كان سائدا في اليابسة اليونانية وجزيرة كريت من الفترة نفسها. ونبه كفافي، إلى الفخار المايسيني الذي عثر عليه في تل دير علا نفسه، وفي مواقع أخرى في الأردن كتل أبو الخرز، وتل الفخار في الأغوار الشمالية، وخربة الزيرقون في الشمال. لهذا، افترض المحاضر أن هذا الوجود، الذي يعبر عنه الفخار والرقم الطينية، ليس هامشياً، وأنه يعبر عن تراث محلي أصيل في شمال الأردن. إن هذا الطرح ينبهنا إلى موضوع قديم جديد في الآثار له علاقة بانتشار الحضارات، في الحقب الزمنية المختلفة. فالمحاضر يريد القول: إن أصحاب حضارة معينة موجودون في البلاد ومتأصلون فيها، بصرف النظر عن التأثيرات الحضارية الخارجية. وهذا توجه جديد في التعامل مع الآثار يعكس هويتنا الحضارية وتأصلها في الأرض التي نعيش عليها، بشكل مغاير لتصور البحاثة الغربيين حول تحركات الشعوب والتركيز على "تميز" مجموعات دون غيرها.

في العام الماضي، في الموسم الأخير من التنقيبات الأردنية الهولندية المشتركة (جامعة اليرموك/جامعة لايدن)، عثر في تل دامية، على كسرة فخارية بدمغة طينية، عليها كتابة مسمارية. هذا الاكتشاف الفريد من نوعه عرضه كاتب هذا المقال، وعمر الغول (جامعة اليرموك)، في محاضرة عنوانها: "الوجود الأشوري في وادي الأردن، في القرن الثامن قبل الميلاد، في ضوء مكتشفات جديدة". نص تل دامية هو الخامس من بين نصوص مسمارية اكتشفت في الأردن، فهناك رقيمان يعودان إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد عثر عليهما في طبقة فحل (بيلا القديمة)؛ ورقيم آخر ظهر في تنقيبات تل طويلان في الجنوب، ويعود إلى الفترة الفارسية، وهو على الأغلب قد وصل إلى الأردن من حران في شمالي سوريا. وأخيراً، هناك نقش يظن أنه لنابونيد، آخر ملوك البابليين، الذي اكتشف في سلع، في الجنوب، ويعود إلى القرن السادس قبل الميلاد. ويأتي نص تل دامية، ليلقي الضوء على الوجود الأشوري في الأردن وخاصة أنه قد ظهر في موقع قريب من تل دير علا، إحدى المدن الرئيسية في الأغوار الوسطى. وقد دمغ النص المسماري الأكدي على كتلة طينية، وضعت على عنق أو بدن إناء كان يحتوي بضاعة ثمينة، على الأغلب. وقد يكون في النص إشارة غير واضحة لهذه البضاعة أو اسم الشخص الذي سلمها أو تسلمها.

قد يكون تل دامية نقطة عبور للبضائع المصدرة أو المستوردة عبر النهر. ورجحت المحاضرة أن التغلغل الأشوري أو البابلي، في الأردن وفلسطين، كان يرمي إلى السيطرة على الساحل الفلسطيني؛ للتحكم بالحركة التجارية مع الغرب. ولهذا، لم يكن هناك اهتمام فعلي بالسيطرة على جبال فلسطين المعزولة ومراكزها كسبسطية والقدس؛ وإنما بالساحل كالطنطورة (دور القديمة) جنوب حيفا التي أسس فيها الأشوريون مركز محافظة، أو خربة المقنع (عقرون قديما) وإسدود في الساحل الجنوبي، بالنسبة إلى البابليين.

عرض أندريه لومير (جامعة السوربون) في محاضرته:

"أسماء العلم والديانة العربية الشمالية في كتابات الكسر الفخارية من أدوميا" الديانة العربية الشمالية، كما انعكست في نصوص، يفترض أنها من خربة الكوم، التي تقع حوالي ٢٠ كم إلى الغرب من الخليل. وتقع الخربة، وهي اليوم مسكونة، على الطريق الرئيسي الذي يصل الخليل بالمنطقة الساحلية مروراً ببيت جبرين. الأسوار التي كشف عنها في الموقع، تؤكد أنه كان أحد المدن الرئيسية في جبال الخليل. في النصوص المكتوبة بالأرامية، وتعود إلى القرن الرابع قبل الميلاد، هناك الكثير من الإشارات التي تعكس حضارة "عربية شمالية"، كاسم المعبودين: قوس والعزى، ويشار إلى معبد الأخيرة في أحد النصوص. ويذكر نص آخر كلمة، يقرأها لومير: "إدنا"، ويطابقها مع قرية "إذنا"، التي لا تبعد كثيرا عن خربة الكوم، وهي قرية فلسطينية معروفة.

لا بد من الإشارة إلى أن الكسر الفخارية، التي عرضها الباحث الفرنسي، لم تستخرج من الموقع بشكل شرعي؛ بل وصلت إلى بعض الباحثين عبر تجار التحف القديمة. ومن المؤسف أن دائرة الآثار الفلسطينية لا تقوم بالجهد الكافي، لتطويق ظاهرة استخراج الآثار من خربة الكوم والكثير من المواقع الفلسطينية. ولكن لا بد أيضا من الإشارة إلى أن نشر هذه الكتابات، كما يفعل الإسرائيليون أو المحاضر، يشجع على تجارة التحف القديمة، وفي النهاية يؤدي إلى زيادة التخريب الحاصل في المواقع الفلسطينية. وتراث خربة الكوم يخص الفلسطينيين في الدرجة الأولى، وينبغي أن يبقى بين أيديهم.

نص سرياني: "نقش سرياني على إناء"، عرضه كابي أبو سمرة (جامعة الكسليك، لبنان)؛ وهو يمثل تعويذة كتبت على سطح طاسة خزفية. ويقول المحاضر: إن الإناء جاء من جنوب العراق، ويشبه طاسات تعاويذ مكتوبة بالأرامية، وعثر عليها في تل نفر (نيبور القديمة) أو منطقتها. وأثناء النقاش، لم يوضح المحاضر علاقة هذه الطاسات بمدينة نيبور[٢]؛ وإلى أي فترة بالتحديد تعود هذه الممارسات الدينية[٣]؟ وحسب المحاضر، تعود القطعة لمجموعة تحف شخصية. وكاتب هذا المقال يرجح أن القطعة مزورة؛ وربما حصل ذلك في العراق، وهُرِّبت لتباع في سوق التحف القديمة في لبنان. وأما بالنسبة إلى النصوص خربة الكوم، فإن التعامل مع هذا النوع من الآثار، مزورا كان أم مهربا، يسهم في تشجيع التجارة في التحف القديمة والفنية، ويعني تخريب المواقع الأثرية العراقية، التي تعرضت، إثر الغزو الأميركي للعراق، إلى أخطر عملية تدمير ونهب.

عثر على النقش، الذي عرضه محمود الروسان (جامعة اليرموك)، في وادي سلمى؛ ويحتوي على إشارة إلى مناوشات بين قبيلة عربية والأنباط. ويرى الباحث، أن هذا حصل في فترة ضعف مملكة الأنباط العربية؛ أي بين القرن الأول قبل الميلاد والقرن الأول الميلادي. هذه القبائل تتحرك من الجنوب إلى الشمال، كقبيلة حويلة التي ذكرت في هذا النص، ونصوص أخرى؛ وربطت في الماضي بقبيلة "حويلا" في التوراة (التكوين ٢٥، ١٨) وبحوالة، أحد فروع أزد٤. يشير الباحث إلى معلومات جديدة، مفادها: أن هذه القبيلة لا علاقة لها بشاهد التوراة. وعرض الباحث، في محاضرته، أيضاً، الإشارات إلى الأنباط في النقوش الصفوية. والجدير بالذكر، ما لاحظه الباحث يونس شديفات (جامعة مؤتة)، من أن كلمة "وسق" ما زالت تستخدم بين البدو اليوم؛ ولا تتعدى مدلولاتها مجرد عملية غزو بسيطة، تحتجز فيها بعض الأغنام، لغرض المقايضة والضغط على قبيلة أخرى. هذه الملاحظة تبين، من جديد، مدى أهمية المقارنة بين القديم والحديث، في إيضاح ما غمض من نصوص، أو إعادة الموروث الشعبي إلى جذوره.

أحياناً تضاف إلى النقوش الصفوية صورة، قد تكون من نقش صاحب النص المكتوب، وتعكس مدلولا يحمله النص المرافق. الرعي والفروسية هي الموضوعات المفضلة في هذه الرسوم. لكن هناك أيضاً صورا لعازفي آلات وراقصات ومصائد حيوانات؛ كل هذا يعكس المبدأ القديم لرسوم الكهوف؛ وهو استرجاع صورة النشاط اليومي وتثبيته ماديا في الرسمة أو النقش على الحجر. إلى جانب النصوص والرسوم، هناك أحياناً رموز سحرية للحماية ودرأ الشر، ومن بين هذه الرقم سبعة.

ثمة نقوش كتبت باليونانية أو اللاتينية، وفي هذه النقوش أيضا إشارات إلى المجتمع المحلي، الذي لم يفقد خصائصه الأساسية، من خلال الهيمنة السياسية الخارجية. نبيل عطا

الله (جامعة اليرموك). عرض الأسماء المؤنثة في النقوش اليونانية من أم الجمال، التي يبلغ عددها ٥٢٨ نقشا وما زال عدد منها غير منشور بعد. وأشار المحاضر إلى أن هناك ١٦٢ اسما مؤنثا، وأن حوالي ٨٢٪ من الأسماء هي من لغات قريبة من العربية. ومن بعض ما ذكره، أن المرأة تسمى بأم فلان، كما هي العادة بيننا اليوم. وعرض أحمد العجلوني (جامعة اليرموك) بعض الألقاب النبطية، التي تعود إلى أصول يونانية أو لاتينية. أمثلة على ذلك: "هافركا" وتقابل في اليونانية "إيبارخوس"، وتعني "قائد الفرسان"؛ قونطيرينا وتقابل في اليونانية "كينتاوروس"، وفي اللاتينية "سينتوريو" وهو "قائد الخيالة".

تفسير النصوص هو جانب من جوانب حقل دراسات النقوش؛ وهو يتجدد باستمرار مع تقدم معارف الحقل. البحاثة في مجال النقوش يعتمدون على النسخ في دراساتهم للمادة النقشية؛ وقد لا تكون النسخة مطابقة للأصل أحياناً؛ بسبب سوء فهم علامات النقش. ولهذا، تبرز الحاجة إلى فحص النقش في مكان وجوده الأصلي، أو في المتحف الذي حفظ فيه الحجر أو الرقيم، أو إعادة نسخه أو تصويره. هذا ما فعله الباحث الألماني راينهارد ليمان (جامعة ماربورغ)، بالنسبة إلى نقشين معروفين من جبيل لأحيروم (أحيرام)، الملك الفينيقي من القرن الثاني عشر أو العاشر قبل الميلاد؛ فزار الموقع، وصور النقش الأول الذي حمله التابوت، ونزل في الخندق الذي يوجد على أحد جدرانه النقش الثاني، وصوَّره. وفي محاضرته، قدم ليمان، تفسيرا جديدا للنقشين.

ثمة تفسير جديد وجرئ، قدمه الباحث الأردني زياد عبد الله طلافحة، لنقش صفوي يرافقه رسم لهلال، فُسِّر في السابق على أنه يتضمن إشارة إلى خسوف القمر. حسب المحاضر، الكلمة "سني" تعني في النص المعبود "سين" المعروف في الحضارة الأكدية، ويقابله في الحضارة السومرية "نانار"، وهو معروف أيضاً في النقوش القديمة لجنوب الجزيرة العربية. يفسر الباحث النقش بأنه يعني انشقاق القمر، كما ورد في الآية الكريمة: "اقتربت الساعة وانشق القمر" (سورة القمر). وقد يكون في هذا مؤشر إلى تاريخ كتابة النص، على الرغم من أن النقوش الصفوية تعود إلى فترة أبكر. وقد اعترض بعض الباحثين على تفسير المحاضر؛ إذ يكون هذا الشاهد المرة الوحيدة التي يذكر فيها مثل هذا المعبود، في النقوش الصفوية؛ ومن الأفضل تفسير الكلمة بشكل مختلف.

شكل آخر من أشكال تفسير النصوص القديمة هو تقديم تحليل لغوي، يعتمد على نظرة جديدة، تستفيد من اللغة العربية وظواهرها الصوتية. هذا ما فعله يحيى عبابنة (جامعة مؤتة) بالنسبة إلى نقش أكدي عثر عليه في كيش، إحدى المدن الكبرى في العراق القديم، وتقع إلى الشرق من بابل. النص هو تعويذة ("أخْذة")؛ يلجأ فيه الرجل إلى المعبود؛ لمنع زوجته من إقامة علاقة جنسية مع غيره. ويقارن الباحث ألفاظ النص بالعربية، وهذه المحاولة الجديدة في التفسير تستحق الاهتمام، خاصة أن النصوص الأكدية تقارن في الغرب بالعبرية؛ في حين أن العربية هي اللغة الحية الأولى التي ينبغي مقارنة لغات الأصل الثلاثي معها. غير أن "التأخيذ" في التراث العربي، هو أن تحتال المرأة بحيل؛ لمنع زوجها من إقامة علاقة جنسية مع غيرها، ويقال: "لفلانة أخذة تؤخذ بها الرجال عن النساء" (لسان العرب).

إضافة إلى العربية الفصحى، يمكن الاستفادة من اللهجات العربية الحديثة، في تفسير النصوص القديمة المكتوبة بلغات الأصل الثلاثي. العلماء الغربيون، الذين وضعوا أسس معظم حقول اللغات القديمة، يستعينون في الدرجة الأولى بعبرية التوراة، ونادراً ما يلجأون إلى اللغة العربية، على الرغم من الإقرار بأن العربية احتفظت في بنيتها وخواصها الصوتية ببعض الظواهر القديمة للغات الأصل الثلاثي. وهناك تهمل بالكامل اللهجات العربية الحديثة، وكأنها غير موجودة. غير أن هذه اللهجات لم تنبثق من فراغ؛ بل هي امتداد للهجات القديمة، أو لغات قديمة كالأرامية. وفي الجزيرة العربية، في شمالها وجنوبها، العديد من اللهجات التي ما زلنا، نحن العرب في بلاد الشام، وبقية البلدان العربية، نجهلها كلية ولا نستفيد منها في دراسات النقوش القديمة. عبد الرحمن الأنصاري (دار القوافل للنشر، الرياض) نَبَّه في ورقته إلى أهمية إجراء المقارنة بين اللهجات الحديثة واللغات القديمة؛ وقدم نصا من لهجة فيفا، التي تقع في جيزان، جنوبي غرب المملكة العربية السعودية. وأشار الأنصاري، إلى ما قام به زميل له، في

استعمال اللهجة العامية (البدوية)، في قراءة نصوص لحيانية من "العلا"، تعود إلى القرن السادس قبل الميلاد. ونجحت المحاولة!

محاضرة آمنة الزعبي (الجامعة الهاشمية)، تناولت استخدامات الواو والياء في النقوش الثمودية؛ وأشارت إلى تطور هذه الاستخدامات؛ فإذا ظهر الحرفان كانا صامتين؛ وإذا أسقطا فيدل ذلك على أنهما قد أصبحا حرفي علة. تكمن أهمية محاضرة الزعبي، في أنها نبهتنا إلى أنه يمكن الاستفادة من اللغات القديمة التي سبقت العربية، لكنها قريبة منها، في تفسير ظواهر لغوية في اللغة العربية وتحديد أصولها. وما زالت هذه الدراسات غير معروفة في العالم العربي؛ وهو ما يثير الاستغراب إلى حد بعيد، خاصة أن معرفة الأصول هو الأرضية المناسبة لتحديد الهوية الحضارية وجذورها، وهي أيضا وسيلة أساسية لتفعيل اللغة وتغذيتها.

معرفة الأصول لا تقتصر على اللغة. محاضرة حسين القدره (الجامعة الهاشمية) وإبراهيم صدقة (وزارة التربية والتعليم بالأردن) حول الحج، من خلال نقوش عرب شمال الجزيرة العربية، هي أنموذج جيد للآفاق التي تفتحها دراسة النقوش، في فهم موروثنا العربي الإسلامي. فمثلاً النقوش اللحيانية تشير إلى ممارسة الحج من قبل مجموعة جاءت من عمان (!) إلى المعبود اللحياني "ذو الغيبة" في العلا، شمال الجزيرة العربية. وفي النقاش، أشار عبد الرحمن الأنصاري إلى أن "ذو الغيبة" يقصد به "الغائب"، أي اللَّه – عَزَّ وَجَلَّ. وأشار المحاضر إلى أن طقوس الحج تشترط الطهارة والاغتسال، حسب بعض النقوش، ونصوص أخرى تشير إلى الطواف.

محاضرة س. فينينغر (جامعة ماربورغ)، تعالج التأثيرات المعجمية للسبئية على اللغتين العربية والحبشية؛ وتبين أن جنوب الجزيرة العربية أو اليمن هو مصدر كلمات يعدها دخيلة في اللغتين. مثلاً، كلمة "تاريخ، تأريخ" العربية هي من الكلمة الجنوبية و ر خ، وتعني هنا "قمر". وكذلك انتقلت الكلمة إلى الحبشية التي تعني فيها "شهر" إلى جانب "قمر"[٥].

المسكوكات التي أخذت في الانتشار، ابتداء من القرن الرابع قبل الميلاد، تحتوي على نقوش وصور، ودراستها لا تختلف كثيرا عن موضوع النقوش على المواد الصلبة. الباحث فرج الله أحمد يوسف[٦] (دار القوافل للنشر، الرياض) خصص محاضرته لموضوع المسكوكات، من شرق الجزيرة العربية قبل الإسلام. الموضوع مثير، والمعلومات التي قدمها الباحث شبه مجهولة خارج الجزيرة العربية. كشفت التنقيبات الأثرية، في شرق الجزيرة العربية، عن مسكوكات في العديد من المواقع شرق الجزيرة العربية، ومنها: البحرين (تايلوس قديما) وتاج وعين جاوان وجبل بري والشعبة ومنجم الملح والهفوف وكنزان والدور (عمانا قديما) ومليحة وجزيرة فيلكا (إيكاروس) وتاروت والهفوف. وهناك أيضا في شرق الجزيرة العربية مسكوكات، ظهرت عليها أسماء عربية جنوبية لملوك، كتبت بخط المسند، مثل: حارثة و"أب – يثع" و"أب – إيل"؛ وهما اسمان مركبان، ويحتويان على اسم الإله "أب"، الذي قد يكون الإله الرئيسي في شرق الجزيرة العربية. وتجدر الإشارة إلى أن الكثير من قوالب السك قد عثر عليها في بعض المدن، كتاج وكنزان ومليحة؛ وهو ما يدل على أنها كانت مراكز تضرب فيها المسكوكات، ولها أهمية اقتصادية خاصة.

عرض المحاضر أيضاً، مسكوكات من مملكة ميسان، التي كانت خاضعة للملكة البارثية الفارسية، بين ١٢٩ قبل الميلاد إلى ٢٢٢/٢٢٣ ميلادية. ومن مدن ميسان: فرات، وأبولوجوس (الأبلة في المصادر العربية، البصرة فيما بعد) وأباميا (أفاميا). وعرفت مملكة ميسان، في المصادر اليونانية، باسم شراكس أو خراكس؛ وتعني ميسان في الأرامية "المدينة المسورة". ويشير الباحث إلى أن ممالك شرق الجزيرة العربية كانت على اتصال مع الممالك العربية في الجنوب والشمال، على الرغم من نفوذ القوى الأجنبية وتنافسها في المنطقة. وختم الباحث محاضرته بمعلومة مؤلمة؛ هي أن المتحف العراقي في بغداد كان يحتفظ بنحو أربعمائة مسكوكة، ضربت في عهد تسعة من ملوك ميسان؛ لكنها كانت ضمن المواد التي نهبت مع الاحتلال الأميركي للعراق، في نيسان ٢٠٠٣م .

إذاً، زخم مادة النقوش والكتابات القديمة يجعل منها، إلى جانب الآثار، أهم مصادر التاريخ الحضاري للعالم العربي. والمعلومات، حول هذا التاريخ، تزداد مع كل اكتشاف جديد؛ ما يتطلب إعادة النظر في كتابة فصول التاريخ العريق للأمة

العربية؛ وبشكل تلقائي إعادة صياغة المناهج المدرسية. مؤتمر النقوش والكتابات القديمة ليس مجرد محفل أكاديمي جاف منفصل عن الواقع الذي نعيش فيه. ففي هذه المحاضرة أو تلك، يشعر المتلقي أن هناك أزمة تمر بها الحضارة العربية الإسلامية، يحاول حتى الأكاديميون التصدي لها، كل على طريقته، وبما يتناسب مع منهجية موضوعه، ابتداءً من النقوش الصفوية وانتهاء بالمسكوكات.

واليوم، وفي حين يقف العالم العربي على مفترق طرق، تنطوي العودة إلى الجذور على أهمية بالغة أكثر من أي وقت مضى. وعلينا التشبث بجذورنا، مهما أوغلت في القدم، ونعيد صياغتها من خلال الدراسات والتفسير والتحليل. وهذا هو نهاية الهدف البعيد من مؤتمر اليرموك.

د. خالد الناشف - عمان - الأردن.

الهوامش

(١) في النص يذكر اسم مسك – إيل وكاتب هذا المقال يربط هذا الاسم بأسماء شائعة في المنطقة، مثلا، اسم موقع يقع إلى جنوب دمشق هو الشيخ مسكين، وكلمة "مسكين" هنا قد تكون تطورت من اسم قديم هو "مسك – إيل".

(٢) ومن المعروف أن نيبور التي تقع شمال شرقي الديوانية، بقيت آهلة بالسكان في القرون الميلادية الأولى. ولما تغير مجرى نهر الفرات بعيدا عن المدينة، هجرها سكانها تدريجيا. وفي العصور الإسلامية الأولى، كانت هناك قرية صغيرة تقوم على أنقاض المدينة القديمة. انظر بصمه جي ١٩٦٠، ص ٧ .

(٣) موضوع الطاسات الأرامية يذكر بطاسة الرجفة الفلسطينية التي عادة ما تكون من المعدن، وأحيانا من الخزف، وعليها كتابات وتعاويذ. أنظر (Canaan 1923).

(٤) الإشارة لحويلة في النقش الصفوي غير المنشور هو إضافة جديدة لموضوع قديم تطرق إليه (Knauf 1985)، ص ٦٤ الذي يربط الاسم أيضا بمدينة حائل بالمملكة العربية السعودية.

(٥) يرى كاتب هذا المقال أنه من الضروري الإشارة إلى أن البحاثة والعلماء الأجانب نادرا ما يحيطون بالأبحاث المكتوبة بالعربية، فكلمة "تاريخ" وأصلها العربي الجنوبي هو موضوع عالجه الباحث العراقي الكبير جواد علي، في مقال نادر له (علي ١٩٨٢). وفي هذا المقال المطول يعالج علي، موضوع التأريخ عند العرب قبل الإسلام بكل تفاصيله!

(٦) أشكر الدكتور فرج الله أحمد يوسف، الذي وضع تحت تصرفي نسخة من محاضرته القيّمة.

المراجع

بصمه جي، فرج ١٩٦٠، **نفر (نبور)**، بغداد: مديرية الآثار العامة.

علي، جواد ١٩٨٢، "التاريخ عند العرب قبل الإسلام"، **مجلة المجمع العلمي العراقي** المجلد ٣٣، العددان ٢-٣، ص ص ٣-٥٤ .

Canaan, T.1923 Tasit er-Radjfeh (Fear Cup). **The Journal of the Palestine Oriental Society 3,** pp. 122-31.

Knauf, E. A. 1985. **Untersuchungen zur Geschichte Palastinas und Nordarabiens im 1**. Jahrtausend v. Chr. Wiesbaden: Harrassowitz.

احتفالية البحرين باليوبيل الذهبي لاكتشاف حضارة دلمون

الجهة المنظمة : وزارة الإعلام بمملكة البحرين- وكالة الوزارة للثقافة والتراث الوطني.

مكان الانعقاد : المنامة - مملكة البحرين.

تاريخ الانعقاد : ١٧-٢١ ربيع الأول ١٤٢٦هـ

الموافق: ٢٦-٣٠ ابريل ٢٠٠٥م.

عندما نوثّق شواهد التاريخ ودلائله المختلفة حكايات الماضي وأساطيره يصبح الانتماء حقيقة. وعندما تمتزج الدلالات والوثائق بالأرض وإنسانها ونمط حياته المعاشة تتجسد هوية الأرض وتقوى روح الانتماء والمواطنة.

لقد أظهرت احتفالية دولة البحرين الشقيقة باليوبيل الذهبي لاكتشاف حضارة دلمون، أن هذه الاحتفالية ليست احتفالية بزمن؛ إنما احتفالية بإنجاز حضاري عمره خمسون عاماً. ولهذا، رعاه ملك البحرين الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة.

خمسون عاماً من العمل الآثاري في البحرين، كشف مدن حضارة دلمون، وتايلوس، وإشراقة الإسلام، وحقبه التاريخية المضيئة في البحرين وما جاورها. والإنجاز أثمن مقاييس الزمن؛ ولهذا احتفلت البحرين بيوبيلها الذهبي لاكتشاف حضارة دلمون، فيما بين ١٧-٢١ربيع الأول ١٤٢٦هـ الموافق ٢٦-٣٠ أبريل ٢٠٠٥م.

دعت وزارة الإعلام لهذه المناسبة الكثير من المسؤولين والعلماء والباحثين والمختصين، في مجال الثقافة والآثار، والمتاحف، والإعلام، من العرب والأجانب؛ وجرت هذه الاحتفالية على أساس من التنظيم والإعداد الرائعين، والمتابعة المستمرة؛ فكانت المناسبة، كما أرادتها البحرين، وأبناؤها المخلصون من منسوبي وزارة الإعلام، ووكالة الوزارة للثقافة والتراث الوطني، وفريق العمل الشاب الرائع، وعلى رأسهم وكيل الوزارة الأستاذ محمود بن يوسف المحمود؛ فجاءت الإحتفالية ناجحة بكل المقاييس.

لقد أعد المنظمون برنامجاً حافلاً، ابتداءً من يوم الأربعاء ٢٧أبريل ٢٠٠٥م؛ فقد زار المدعوون المواقع الأثرية في الجنبية والشاخورة. وفي مساء اليوم نفسه، حضروا حفل الافتتاح الرسمي لموقع قلعة البحرين، بعد إتمام أعمال التنقيب والصيانة.

وفي يوم الخميس، حضر المدعوون افتتاح معرض البعثة الدانماركية للآثار بالمتحف الوطني، وكذلك معرض الفنان راشد العريفي، عن الفن الدلموني، بمركز الفنون.

وفي يوم الجمعة، حضر المدعوون افتتاح قاعة الهياكل بمتحف البحرين الوطني، وفي المساء عقدت ندوة اكتشافات من حضارة دلمون بمقر جمعية تاريخ وآثار البحرين شارك فيها: الدكتور فلمنغ هويلند (مدير البعثة الدانماركية)، والدكتور بيير لومبارد (مدير البعثة الفرنسية)، والدكتور روبرت كليك (مدير البعثة البريطانية)، والأستاذ عبدالرحمن مسامح (مدير إدارة المتاحف).

لقد كان جميع المدعوين ممتنين لهذه الدعوة الكريمة، التي أتاحت الفرصة لهم لحضور احتفالية البحرين بلد الكشف الحضاري وحضارة الكشف الآثاري، التي بدأت قبل خمسين عاماً، (منذ عام ١٩٥٤م). رصدت حقب التاريخ، وفق تقنيات علم الآثار وفنياته . وحضارة الكشف هذه لم تكن حدثاً عادياً؛ بل كانت من أعظم الإنجازات الأثرية في القرن العشرين؛ لعلاقتها بدراسات الشرق الأدنى القديم، ولكونها مولد علم الآثار البحريني الذي رعته الدولة، منذ البداية، عندما أعطى الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة، موافقته للبعثة الدانمركية بالعمل على كشف آثار البحرين، ودعم هذا المشروع بتبرع جزيل، بحكم زمنه في ذلك الوقت، بألف جنيه إسترليني؛ إنه منهج القيادة في حب البلد وتاريخها وآثارها.

إن هذه الاحتفالية ليست حدثاً عادياً؛ لأنها تكريم لكل آثاري شارك في هذا الكشف من الدانمركيين الأوائل ونظرائهم من البحرينيين، وتكريم لكل من بذل الجهد وشارك في هذا العمل الحضاري من العمال البحرينيين من المزارعين

والصيادين، وتكريم لكل رواد العمل الآثاري، عربياً وعالمياً.

ولم تكن الاحتفالية حدثاً عادياً؛ لأنها احتفاء بالمحتوى الأثري الثمين، بالمقتنيات الأثرية القيمة التي أثرت متحف آرهوس بالدانمارك، الذي أجرى التنقيب. كما أثرت المحتوى الآثاري بمتحف البحرين الوطني؛ لأنها كشفت عن عاصمة دلمون وقصورها ومعابدها وسفر القلعة سجل الماضي بإبداعاته الحضارية الرائعة؛ ولأن إنجازات الكشف كانت بمثابة منهجية الحاضر وإشراقاته المبدعة؛ إذ كانت البدايات الأولى للعمل الآثاري في البحرين الخطوة الأولى للعمل الآثاري بدول الخليج العربي: في الكويت، والمملكة العربية السعودية، وقطر، والإمارات، وعُمان.

عملت البعثة الدانماركية ما يقرب من خمسة وعشرين عاماً من التنقيبات المستمرة، وقد بدأت البعثة الأولى عملها في البحرين في الخامس من شهر ديسمبر ١٩٥٤م وحتى ٢ مايو ١٩٥٤م؛ واستمرت خلال الخمسينيات والستينيات والسبعينيات، بدعم من حكومة البحرين، وشركة النفط البحرينية، وصندوق كارلسبرغ. كما أعقب ذلك خمسة وعشرون عاماً من الدراسة والبحث في المواد الآثارية المكتشفة، ونشر نتائج الأبحاث، في سلسلة من الإصدارات، منها: كتاب "البحث عن دلمون" للسيد جيفرى بيبي؛ يعرض لمحات عن حضارة دلمون في مواقع مختلفة، دوَّنها أثناء رحلته عام ١٩٦٩م، بدول مجلس التعاون. وقد ووزعت مطبوعات بمناسبة الاحتفالية على المدعوين ضمن حقيبة الإهداء تضم ما يلي:

١ . اكتشاف دلمون " خمسون عاماً من البحوث الدانماركية".

٢ . من اكتشافات البعثة الدانماركية في مملكة البحرين"، مجموعة مقالات، ترجمة د. محمد علي الخزاعي.

٣ . كتاب ب. ف غلوب "البحرين" البعثات الدنماركية في دلمون القديمة، ترجمة د. محمد البندر.

٤ . بوفين البحرين، ترجمة د. محمد البندر ويتناول الكتاب الفن التشكيلي وواقعه في البحرين.

٥ . ثلاثة أعداد من مجلة "دلمون"، التي تصدرها جمعية تاريخ وآثار البحرين، وقد صدر منها اثنان وعشرون عدداً.

٦ . البحرين في القرن السادس عشر "جزيرة حصينة"، للسيد مونيك كيزفران بعثة الآثار الفرنسية، ترجمة د. محمد الخزاعي.

كما ضمت الحقيبة إهداء ختم دلمون (٢٥٠٠-٥٠٠ق.م).

وقد اختارت البعثة قلعة البحرين شاهد الصمود في القرن السادس عشر الميلادي، التي صَدَّت جحافل الغزو البرتغالي؛ إذ أثبتت التنقيبات أنها أيضاً شاهد آلاف السنين وعاصمة الوطن الأم لدلمون القديمة ذات الحضارة العظيمة، التي سيطرت على التجارة البحرية بين مدن وادي الرافدين والهند، خلال الألف الثاني قبل الميلاد.

وكشفت البعثة عن شواهد قرية باربار الأثرية، التي تعود إلى (٤٠٠٠) أربعة آلاف سنة سابقة، وتمثل تحفة المعابد القديمة في شرق الجزيرة العربية، وآثار مدينة سار والدراز، وشواهد بناء حضاري، أسهم في بناء حضارة الشرق القديمة.

إن الأختام المكتشفة وثائق الوثائق للتعاملات التجارية والأعمال الرسمية التي تؤرخ تعاملات قديمة منها ما يعود لدلمون القديمة نهاية الألف الثالث قبل الميلاد، وما يعود لدلمون المتوسطة حوالي ١٥٠٠قبل الميلاد، وما يعود لدلمون المتأخرة حوالي القرن السادس قبل الميلاد.

لقد فتحت أعمال البعثات المبكرة أعين المواطنين على تاريخهم؛ فترى في البحرين عشق الماضي. ومن شواهد هذا العشق استمرارية تقنية البناء القديم، المتمثلة في أكواخ البرستي المبنية من الطين، والمنسوجة من سعف النخيل وأليافه، التي استضافت علماء الآثار وأفراد البعثة الدانماركية، الذين وجدوا في تلك التقنية، رائحة الماضي وأصالته وتجربة الزمن ومهابته؛ وهي عملية اقتصادية، ومهنة تقليدية، وتجربة حضارية، تعكس البيئة البحرينية، وقد لازمت تلك التقنية ابن البحرين حتى حاضره.

حذق البحرينيون في فهم تاريخهم، من خلال فعاليات النشاط الثقافي، الذي اهتم بجانب التراث والتعريف به. إذ

شهدت مدرسة الهداية الثانوية، عام ١٩٥٧م، أول عرض لنتائج المكتشفات الأثرية، برعاية كريمة من الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة. وكان لهذا العرض أثره البالغ في رفع درجة الاهتمام بالآثار والتاريخ، منذ المراحل المبكرة في تاريخ البحرين. وفي السبعينيات، تأسس أول متحف؛ وشرع في التنقيبات الخاصة التي أسهمت في إثراء محتوى المتحف الوطني، الذي افتتح عام ١٩٨٨م.

واقترن الحب بأرض دلمون، فعرفت بأرض الخير وتباشيره، أرض التجارة وتجارة الأرض، مع الهند والسند وعيلام والرافدين والهلال والنيل أرض الثقافات ومشرق الحضارات؛ وبقيت البحرين حتى وقتنا الحاضر، مركز العلاقات التجارية والثقافية والاقتصادية.

لقد تغنى التاريخ بالبحرين أرضاً للظل الوارف واللون الجميل والضوء المبهر؛ فأصبحت جزر الغوص وبحيرات اللؤلؤ، وأشجار النخيل واللوز مصدر إلهام فناني النغم والريشة، فأبدع التشكيليون والموسيقيون في احتفالية اليوبيل الذهبي. كما أبدع المسرحيون عندما استقوا من ماضيهم مادة مسرحية لحاضرهم؛ فقد اختزلت مسرحية أرض الملوك التي قدمتها فرقة جلجامش مراحل التاريخ، فأظهرت عراقة دلمون وتايلوس، وأول ما أوضحت معالم حضارة الإسلام على أرض الوئام والمحبة والسلام.

وللآثار أثرها في تقرير الهوية الثقافية والوطنية. لقد احتفلت البحرين بهويتها الثقافية وانتمائها الوطني، وعاداتها وتقاليدها .. فجمعت بين الباحثين والفنانين والمسؤولين والمهتمين. وفي هذا اللقاء، غنَىً لثقافة البلاد وأهلها، ومن جهة أخرى، فإن أعمال البعثات فتحت لبلادها علاقات ثقافية وعلمية، وصداقات على المستويين الوطني والسياسي.

ومن نتائج أعمال البعثات الدانماركية، توثقت العلاقات البحثية والثقافية، بين متحف موسكارد، ومتحف البحرين الوطني. وسوف تعطي هذه العلاقة، مزيداً من الأنشطة والفعاليات الثقافية المفيدة – بإذن شاء الله. فلماذا لا تنتهج البعثات العربية هذا النهج العلمي لإبراز تراثنا، بالبحث وتوثيق علاقاتنا العلمية والوطنية؟

ومن خلال الحضور الفاعل لهذه الاحتفالية، ندرك أن نجاحها يرتكز على ما تحتضنه مملكة البحرين من مفردات ثقافية وتاريخية وسياحية وفنية؛ فقيثارة النغم صوت الحياة المعاشة ورمز الوطن لمملكة البحرين، جعلت المدعوين يغادرون البحرين، وهم يشعرون بالتقدير للبحرين وأهلها، على جماليات الاحتفالية بتراث الوطن وتاريخه.

د. علي بن صالح المغنم - وكالة الآثار والمتاحف - وزارة التربية والتعليم - المملكة العربية السعودية.

الندوة الدولية الثالثة: الاكتشافات الأثرية الحديثة في دولة الامارات العربية المتحدة

الجهة المنظمة: مركز زايد للتراث والتاريخ

مكان الانعقاد: العين - الامارات العربية المتحدة

تاريخ الانعقاد: ٢٧-٢٨ صفر ١٤٢٦هـ

الموافق: ٦-٧ ابريل ٢٠٠٥م

نظّم مركز زايد للتراث والتاريخ "الندوة الدولية الثالثة: الاكتشافات الأثرية الحديثة في دولة الامارات العربية المتحدة"، بهدف تعزيز الفهم بآثار دولة الامارات العربية، وإتاحة الفرصة أمام المختصين لمناقشة القضايا الآثارية المختلفة، والتعريف بأحدث الاكتشافات الأثرية. وقد اشتملت الندوة على اثني عشر بحثاً، توزعت على أربع جلسات علمية خلال يومي الندوة، وشارك فيها نخبة من الباحثين والمختصين بآثار الامارات العربية المتحدة.

أفتتحت فعاليات اللقاء العلمي بكلمة للدكتور حسن النابودة، أكد فيها أهمية عقد مثل هذه اللقاءات العلمية بصورة دورية، بمشاركة المختصين المهتمين بدراسة آثار دولة الامارات العربية المتحدة وحضارتها.

عقدت أولى جلسات اليوم الأول برئاسة الأستاذ بيتر هيلير، وقد اشتملت على أربع أوراق علمية، أولها ورقة للباحثين هايكو كالويت ومارك بيتش ووليد التكريتي، بعنوان "آثار صحاري الجزيرة العربية: أعمال ميدانية حديثة في موقع

خور المناهل بإمارة أبو ظبي"، استعرض مقدمها الباحث هايكو كالويت مواقع اكتشفت في الجزء الشرقي من صحراء الربع الخالي، تحتوي على مجموعات من الأدوات الحجرية، المصنوعة من الحجر الجيري والكوارتز، تعود لفترة العصر الحجري الحديث. ونظراً لكون هذه الأدوات الحجرية موجودة في موقعها الأصلي، فقد قام الباحثون برفع احداثيات كل أداة حجرية باستخدام جهاز "المحطة المتكاملة" (Total Station)، بغرض التعرف على نمط انتشار الأدوات الحجرية بالموقع؛ إضافة إلى الرفع الطبوغرافي للظواهر الجغرافية بالموقع. ولعل من أبرز المعثورات الموجودة بالموقع منشآت حجرية ذات شكل دائري، مبنية من كتل الحجر الجيري، ولها مدخل أو اثنين. إن ما قام به الفريق العلمي يهدف إلى تحقيق مزيد من التقدم في تقنيات التعامل مع مواقع الأدوات الحجرية في المناطق الصحراوية، والاستفادة من التقنية الحديثة في تحقيق ذلك. ولعل من أبرز القضايا التي أثيرت عقب هذه الورقة تلك المتعلقة بإيجاد تنظيم يحمي مواقع ما قبل التأريخ، المنتشرة بكثرة في المناطق الصحراوية غير المأهولة، وخاصة من المشاريع الكبيرة، التي ترتبط، غالباً، بأعمال البحث والتنقيب عن البترول.

أما الورقة الثانية، فعنوانها "خام الصوان في المناطق الداخلية من شمال الامارات: مصادره، واستغلاله، وجمعه" شارك في إعدادها كل من مارغريت اوربمان وهانز-بيتر أوربمان وهارك هاندل ويوهان شميت، وألقاها نيابة عنهم هانز-بيتر اوربمان. تمثل الورقة الجهود المشتركة بين مديرية الآثار في امارة الشارقة وفريق آثاري من جامعة توبنغن، ضمن مشروع البوحيص. بينّت الورقة وجود أدوات من العصر الحجري القديم، عُثر عليها قبل سنتين في الشارقة، تشتمل على أدوات وصفت بالقواطع الحجرية. ويرأى معدّو الورقة أن هذه الأدوات لا تعود للعصر الحجري الحديث، بل تُمثل أولى المواقع الأُلدوانية بشرقي الجزيرة العربية. ولعل من أبرز الاشكالات المرتبطة بهذا الرأي كون هذه الأدوات متأثرة إلى درجة كبيرة بعوامل التعرية، وليست مرتبطة بأي تتابع طبقي يُعين على تأريخها.

كما تناولت الورقة الأعمال المسحية لدراسة مصادر الصوان الخام في المناطق الداخلية من الشارقة، وعلى حدودها الشرقية مع إمارة رأس الخيمة وعُمان، وتُعد جبال الحجر من أهم مصادر توفر أحجار الصوان. ومن أبرز المواقع التي دُرست، موقع البوحيص ١٨، حيث تكثر الأدوات الصوانية وآثار الرماد. وهناك موقع الفايه- شمال شرق ١، الذي يحوي طبقات، تعود لفترة العصر الحجري الحديث، والعصر الحديدي، وأخرى اسلامية. ويظهر من البقايا الأثرية بالموقع، ارتباط النشاط البشري بالرعي، ووجود دلالات على جلب الأحجار الصوانية الخام من خارج الموقع، خاصة وأنه أمكن إعادة تركيب بعض الأدوات مع مثيلاتها في موقع مصدر المادة الخام. وتشير الدلالات الأثرية بموقع مصدر المواد الخام في ند الثمام إلى استخدام النار في تسخين الأحجار واستخراج الصوان. لقد أعطتنا هذه الدراسة معلومات قيّمة عن أهمية حجر الصوان بالنسبة للمجتمعات البشرية في الماضي، والجهود التي تُبذل للحصول عليه من مناطق بعيدة عن مقر إقامة الجماعات البشرية.

الورقة الثالثة كانت للباحث قاري فوغنر بعنوان "منشآت حفيت الحجرية في الامارات وعُمان: محاضرة آثارية مصورة". وقد عمل فوغنر على حصر المنشآت الحجرية المنتشرة في جبل الحجر والجبل الأخضر ووادي عهن وكلباء وعلى امتداد الجانب الشرقي للامارات وعُمان، وتحديد إحداثيات مواقعها بصورة دقيقة. كما أنجز الباحث بناء قاعدة بيانات لهذه المنشآت الحجرية، والتي تنوعت أشكالها بين الدائري، والبيضاوي، وذات الشكل البرجي، وغيرها. وبلغ عدد المنشآت الحجرية التي جرى حصرها المئات، تفاوتت من حيث موقعها، ما بين بطون الأودية وقمم الجبال، بارتفاع يصل إلى حوالي ٢٣٥٠م . وقد أشار أحد المُناقشين إلى انتماء هذه المنشآت إلى فترة حفيت والعصر الحديدي.

وقد تناولت الورقة التالية، التي قدمتها صوفي ميري وشارك في إعدادها وليد التكريتي، "نتائج الموسم السابع للتنقيبات الأثرية في مقبرة حفرة هيلي-شمال، ودراسة المدافن الدائرية في هيلي من قبل البعثة الاماراتية الفرنسية المشتركة". وقد استعرضت الباحثة ميري جهود البعثة الآثاية الفرنسية في دولة الامارات العربية المتحدة، على مدى عدة

مواسم، التي تضمنت التنقيبات بعد عام ٢٠٠٢م، إذ وجدت بقايا حيوانية، وفخار عبيدي، وثقالات شباك صيد أسماك وغيرها. وكذلك حفرية البطانة بامارة الفجيرة، التي جرى فيها تنقيب منشأة حجرية؛ كما نقبت منشأة من الطوب الطيني في هيلي. وفي عام ٢٠٠٢م تم توثيق حوالي ٩٠٠ مدفن في جبل عقلة تعود لفترة حفيت على امتداد ٢بم٥ كلم، وتوثيق ٢٢ مدفناً تعود للعصر البرونزي الأوسط. وتظهر الدلائل الأثرية إعادة استخدام الحجارة في مدافن أم النار بموقع هيلي ٨ . وقد عثر على دلائل لقطع الأحجار من الجبال، واستخدام مطارق من حجر الديورايت لتهذيبها. ثم تناولت الباحثة الأعمال الميدانية التي جرت في أوائل عام ٢٠٠٥م، شملت أعمال التنقيب الأثرية في مقبرة حفرة هيلي-ن (Hili-N). يحتوي هذا المدفن على آلاف القطع العظمية المختلطة بعضها ببعض. ويُقدر عدد الأشخاص الذين دُفنوا بهذا المدفن بحوالي ٥٠٠ شخص، من مختلف الأعمار. كما اشتمل المدفن على بعض القطع الأثرية، تضم مصنوعات مستوردة، ومصنوعات محلية اشتملت على فخار محلي. وقد أثبتت دراسة البقايا العضوية بالمدفن أن نصف عدد الأشخاص ماتوا قبل سن البلوغ. كما وجدت دلالات على حرق الجثث، والتي دل عليها وجود طبقة رماد بالمدفن.

ترأس د. مارك بيتش الجلسة الثانية للندوة، التي افتتحت بورقة للباحث كريستيان فيلد بعنوان "تطور عمارة القبور في فترة وادي سوق، في شمل بإمارة رأس الخيمة". تحدث الباحث عن أهمية موقع شمل، الذي يحتوي على أكبر مدفن يعود لفترة الألف الثاني ق.م.، في منطقة تبلغ مساحتها ٣ كلم٢ . وقد أظهرت هذه الدراسة تنوعاً كبيراً في المدافن التي تعود لهذه الفترة في شمل، وظية، والغليلة، والخط جنوبي رأس الخيمة. وقد تفاوتت المدافن ما بين مدافن جماعية وأخرى فردية، وبأشكال وأطوال متعددة، وصل طول بعضها إلى حوالي ٢٢م. ومن ناحية أخرى، فهذه المدافن ليست مدافن ركامية، بل تحتوي، كما هو الحال في مدافن ظية، على أسقف تغطيها كتل حجرية. لقد احتوت هذه المدافن على مواد أثرية من فترة وادي سوق، تتراوح فترتها ما بين (٢٠٠٠-١٦٠٠ ق. م.). وقد أشار الباحث إلى أبرز ملامح تطور العمارة في مدافن الألف الثاني تمثلت في تأثير عمارة فترة أم النار على مدافن شمل، وكذلك انتشار التقليد المعماري للمنشآت المبنية تحت مستوى سطح الأرض (Subterranean) في عُمان والامارات.

بعد ذلك قدمت ورقة للباحثي:ن هيلموت بروكنر، وأنجا زاندر، وغاري فولنز، وكلوديا غروبر، وهنريت مانهارت، وحسين قنديل، بعنوان: "الماضي في المستقبل: السواحل والضفاف القديمة والأنظمة البيئية في مدينة دبي للانترنت". وقد قام فريق جامعة ميونيخ، بالتعاون مع آثاريين من مدينة دبي بدراسة موقع السفوح ٢، والذي يُعد من أبرز مواقع فترة وادي سوق (حوالي ١٩٠٠-١٦٥٠ ق. م.). وقد عُثر في الموقع على شواطئ متحجرة، والتي كانت في السابق عبارة عن رمال شاطئية، تحولت إلى كتل صلبة، بفعل تأثير كربونات الكالسيوم. وقد أثّر ارتفاع مستوى مياه البحر على هذه المنطقة، التي وجدت بها دلالات على إقامة المجتمعات البشرية فيها، منها طهي الطعام باستخدام مواقد النار التي وجدت بالموقع. وقد تركّز الغذاء بشكل كبير على استخدام لحوم الجمال، التي وجدت كميات كبيرة من عظامها على الشاطئ القديم. وخلصت الدراسة، إلى معرفة المراحل المتعددة التي مرت بها المنطقة منذ حوالي ١٢بم٠٠٠ سنة مضت، وحتى الوقت الحاضر.وأما الورقة التالية للباحثين كلاوديا قروبر و أنجلا دريش وهنريت مانهارت بعنوان: "الماضي في المستقبل: حفرية السفوح ٢ وكيفية الاستفادة من نتائجها"، فقد كانت استمراراً لما قبلها. وقد عرضت في الندوة مقترحات عدة من بينها متحف يضم البقايا الأثرية التي تم تنقيبها، ومركز للزوار، وعروض خاصة تُركز على الجمل وأهميته بالنسبة لمجتمعات المنطقة في السابق.

وقد استهلت الجلسة الثالثة، التي رأسها د. جفري كنج، بورقة للباحث صلاح علي بعنوان :"تنقيبات المريشد الأثرية بإمارة الفجيرة". وقد بيّن الباحث اكتشاف منشأة حجرية بطريق الصدفة أثناء أعمال حفر أساسات لمنزل، أظهرت التنقيبات الانقاذية وظيفتها على أنها عبارة عن مدفن يبلغ طوله ١٨م. وقد تضمنت المادة الأثرية أوانٍ وأكواب فخارية، وأوانٍ من الحجر الصابوني، وخرز ورؤوس رماح، يعود بعضها

لفترة وادي سوق، والبعض الأخر يعود للعصرين البرونزي والحديدي. وقد أثيرت بعض الأسئلة حول مدى وجود دواعي فعلية تستدعي إزالة المدفن بشكل نهائي.

وتلى ذلك، ورقة للباحث بيتر مقي بعنوان: "تنقيبات حديثة في موقع المويلح بإمارة الشارقة"، تحدث عن أهمية الموقع والأعمال الأثرية التي جرت في الموقع، على مدى عشر سنوات مضت. وقد ركزت الورقة على بوابتين، أحدهما شرقية والأخرى غربية، تقعان ضمن المنطقة (c) بالموقع. وقد اشتملت أهداف التنقيب للفترة من ٢٠٠٢-٢٠٠٥م على استكشاف المقطع الجنوبي، وتأريخ منطقة البحث، واستكشاف المنطقة الواقعة خارج السور. وقد أظهرت الأعمال الأثرية بالموقع وجود غرف سكنية ومباخر من الحجر الصابوني وتماثيل لجمال من الطين المحروق. وقد أثبتت دراسة العناصر الكيميائية للفخار منشأه المحلي. وأظهر تنقيب مقطع خارج السور وجود جدار مبني من الطوب اللبن، ما يشير إلى توسّع المدينة خارج السور. كما أشار الباحث إلى أن الموقع تم استيطانه من قبل بدو رحل، تلاه الاستقرار بالموقع. إضافة إلى أن الموقع لا يزال غنياً بالمواد الأثرية، وخاصة البقايا العضوية والفخار.

وفي ورقة للباحث أحمد هلال بعنوان: "النجدي: منطقة الغب في إمارة رأس الخيمة"، تناول الباحث منطقة مرتفعة تحوي برجين من الطين اللبن تقع بين شمل ونخيل، شمال رأس الخيمة، ينسبها أهل المنطقة إلى البحار الشهير أحمد بن ماجد النجدي. وقد قام الباحث بحفر عدة مجسات بالقرب من البرجين، أظهرت وجود قاعدة حجرية تحت مستوى الأرض للبرج الشمالي الغربي، إضافة إلى وجود جدران وأربع طبقات استيطان، احتوت إحداها على حفر لتثبيت أعمدة خشبية فيها. وقد أظهرت أعمال التنقيب بالموقع وجود جدار يصل بين البرجين، وخندق يحيط بكامل الموقع. ولعل من أبرز النتائج التي تؤكدها هذه الورقة العلمية ضرورة الاستعانة بمناهج البحث الميداني للتحقق من طبيعة المواقع الأثرية، قبيل الجزم بطبيعة الموقع، بناءً على المصادر الشفهية.

وأما الجلسة الرابعة، والأخيرة، فقد رأسها الأستاذ الدكتور بيتر مقي، واستهلت بورقة للباحثة آن بينوا، وألقتها بالنيابة عنها الباحثة صوفي ميري، وعنوانها: "ممارسات ثقافية خلال العصر الحديدي في دولة الامارات العربية المتحدة: معلومات جديدة من موقع البثنة ٤٤/٥٠". وتُقدم هذه الورقة معلومات جديدة عن مستجدات العمل الأثري بواحة البثنة، الذي تقوم به البعثة الآثارية الفرنسية، بالتعاون مع إدارة الآثار بإمارة الفجيرة، منذ عام ٢٠٠١م. وقد خلصت الورقة إلى استخدام الموقع لأغراض ترتبط بإقامة الطقوس، وأخرى ترتبط بالجوانب الإدارية لمجتمعات تعود للعصر الحديدي الثاني.

وأما الورقة الأخيرة في هذه الندوة فكانت للباحث جيفري كنج، بعنوان: "شواهد برتغالية لدبا: وصف وخريطة للمدينة في القرن السابع عشر". تناول الباحث المخطوطات والخرائط البرتغالية التي ترد فيها الإشارة إلى قلعة دبا، في سبيل التوصل إلى تحديد موقع القلعة الفعلي، خاصة وأن قلعة دبا لم تعد موجودة في مكانها الأصلي. وقد أشار الباحث إلى أن ما ورد من وصف وخرائط، ترجع في أساسها إلى أطلس يضم القلاع البرتغالية في المناطق التي تقع تحت سيطرة البرتغاليين، تم إنجازه بأمر من الملك الاسباني فيليب الرابع، يؤكد أن القلعة كانت بمدينة دبا الحالية، الواقعة على الحدود الاماراتية-العمانية.

خُتمت الندوة بكلمة للدكتور حسن النابودة، الذي أثنى على جهود الباحثين ومشاركات الحاضرين، ووعد الجميع بسرعة طباعة البحوث المقدمة في أقرب فرصة ممكنة.

لقد أسهم العديد من العوامل في نجاح هذه الندوة، من أبرزها حسن التنظيم، وجودة الأبحاث والدراسات، التي اشتملتها الندوة، ومستوى النقاش العلمي الذي تبادله الحضور مع الباحثين.

د. عبدالله بن محمد الشارخ - قسم الآثار والمتاحف - كلية الآداب - جامعة الملك سعود - ص.ب ٢٤٥٦ - الرياض ١١٤٥١ - المملكة العربية السعودية - asharekh@ksu.edu.sa.